

## علماء وأعلام

## العلامة السيد

## محمد حسين الطباطبائي



■ ولادته ونسبه ولد العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في أواخر ذي الحجة سنة ١٣٢١ ق في منطقة "شاد

آباد"، إحدى توابع محافظة تبريز الإيرانية في أسرة عرفت بالعلم، حيث اشتهرت أسرته منذ القدم بالفضل والعلم والرياسة، وكانت سلسلة أجداده الأربعة عشر الماضين من العلماء المعروفين فيها. تنتهي سلسلة نسب العلامة الطباطبائي من جهة الأب إلى الإمام الحسن المجتبى<sup>عليه السلام</sup> عن طريق إبراهيم بن إسماعيل الديباج، فيما ينتهي نسبه من جهة الأم إلى الإمام الحسين<sup>عليه السلام</sup>.

## ■ حياته العلمية

## في التحف الأضر

بعد أن فرغ السيد من دراسة المقدمات في مدينة تبريز شدّ الرحال سنة ١٣٢٣هـ متوجهاً إلى التحف الأضر التي بقي فيها عشر سنين مواصلاً دراساته العلمية على يد كبار علمائها. تلمذ على يد أساتذة مشهود لهم بالمستوى العلمي الرفيع في مجال الفقه والأصول والفلسفة والرياضيات كما درس الأخلاق عن العارف الكبير الحاج الميرزا علي القاضي. لم يقتصر السيد الطباطبائي على مرحلة السطوح في الفقه والأصول بل خاض وبعق في علوم الأدب العربي كالصرف والنحو والبلاغة بالإضافة إلى دورة كاملة من الرياضيات القديمة والحساب والجبر والهندسة المستوية والمجسمة وغيرها. وكذلك الفلسفة والكلام والعرفان والتفسير حتى وصل فيها إلى مرحلة الإجتهد.

## في تبريز

بعد أن أمضى السيد تلك الفترة الطويلة في التحف كز راجعاً إلى مدينة تبريز بسبب المشاكل الاقتصادية والفقر التي طرأت على حياته لعدم وصول المبالغ التي كان من المقرر أن تصل إليه من أملاكه الزراعية في تبريز. حيث شرع بممارسة الزراعة في قريته "شاد آباد"، ممارساً في نفس الوقت نشاطه العلمي في مجال التحقيق والتأليف حيث صدرت لها في تلك الفترة رسائل عرفانية وفلسفية، منها "الإنسان قبل الدنيا" و"الإنسان في الدنيا" و"الإنسان بعد الدنيا"، والرسائل الأربع وغيرها من الرسائل.

## في قم المقدسة

بسبب الاضطرابات التي حدثت في محافظة آذربيجان، من جهة وانتعاش حالته الاقتصادية نوعاً ما توجه العلامة الطباطبائي إلى مدينة "قم" المقدسة سنة ١٣٢٥هـ وبدأ بتدريس التفسير والفلسفة والعلوم العقلية وهي معارف لم يكن من المعتاد تدريسها في الحوزة، إلى جانب المعارف الأخرى كالفقه والأصول كما أنه بدأ فيما بعد بتدريس الأخلاق والعرفان ورسالة السير والسلوك المنسوبة للعلامة بجر العلوم.

## حلقات البحث العلمي في طهران

في الفترة التي عاش فيها العلامة الطباطبائي في قم المقدسة كان يعقد حلقات بحث علمية وفلسفية في طهران، يحضرها كبار الشخصيات العلمية كـ "هانري كرين" و "السيد حسن نصر" و "داريوش شايجان" و... وكان قطب المناظرات والحوارات تلك هو السيد الطباطبائي<sup>عليه السلام</sup> نفسه وقد تمحورت الأبحاث حول القضايا الفلسفية والعرفان والأديان والأسلام. ومن الجدير بالذكر أن لقاءاته مع الأستاذ "هانري كرين" استمرت لمدة عشرين عاماً ما بين (١٣٧٨- ١٩٩٩ هـ) في كل خريف، يحضرها جمع من الفضلاء والعلماء، تطرح فيها المسائل الدينية والفلسفية، فكانت لها نتائجها المثمرة.

## ■ أساتذته

•السيد علي قاضي الطباطبائي، الشيخ محمد حسين النائيني، الشيخ محمد حسين الكمباني، السيد حسين البادكوبي، السيد أبو الحسن الأصفهاني، الميرزا علي القاضي الطباطبائي وغيرهم.

## ■ تلامذته

•الشيخ مرتضى المطهري، الشيخ عبد الله جواد الأملي، الشيخ محمد فاضل لنكراني، السيد موسى شبيري الزنجاني، محمد تقي مصباح اليزدي، الشيخ جعفر السبحاني، العلامة حسن حسن زاده الأملي، الشيخ آية الله ناصر مكارم الشيرازي وغيرهم.

## ■ مؤلفاته

•تفسير الميزان في (٢٠) جزءاً باللغة العربية، وترجم إلى الفارسية والإنكليزية، أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، حوار مع الأستاذ «هنري كرين» في مجلدين، القرآن في الإسلام، الشيعة في الإسلام وغيرها.

## ■ وفاته

توفي السيد الطباطبائي - ١٨ محرم الحرام سنة ٥١٤٠٢ هـ وتم تشييعه تشييعاً مهيباً في اليوم الثاني باتجاه مرقد السيدة فاطمة المعصومة<sup>عليها السلام</sup>، ثم حمل إلى مثواه الأخير في مسجد "بالا سر" الواقع في مرقد السيدة المعصومة<sup>عليها السلام</sup> حيث ووري الثرى هناك.

## مقالة / الجزء الأول

## الثابت والمتغير في الفقه الإسلامي

## قراءة في جهود التيار النهضوي: الخميني، الطباطبائي، الصدر

## • الشيخ أحمد المبقي



كانت هي المعيار قبل نظرية الإمام الخميني. ولسنا بصدد إثبات صحة نظرية السيد الخميني؛ لأنّ ذلك يحتاج إلى بحث مستقل، بل نريد هنا إجراء مقارنة بين هذه النظرية ونظرية العلامة الطباطبائي، وكذا نظرية الشهيد محمد باقر الصدر. ب - الولاية المطلقة للفقيه، يقول الإمام الخميني: الحكومة المتفرّعة عن ولاية رسول الله - المطلقة، هي أحد الأحكام الأولية للإسلام، ومقدمة على جميع الأحكام الفرعية.. فالحكومة قادرة على منع الحجّ، الذي هو من الفرائض الإلهية المهمة، مؤقتاً، إذا كان في ذلك صلاح البلد الإسلامي((المصدر نفسه ٢: ١٧٠)). نظرية الشهيد الصدر، منطقة الفراغ التشريعي

وخلاصة نظرية الشهيد الصدر: أ - ترك الإسلام، في نظامه التشريعي، منطقة خالية من أي حكم إلزامي من وجوب أو حرمة ((الصدر، محمد باقر، اقتصادنا: ٧٢١، بيروت، دار التعارف، ط ١٩٨٠م))، تسمّى منطقة الفراغ. ب - لا تدلّ منطقة الفراغ على نقص في الصورة التشريعية، أو إهمال من الشريعة لبعض الوقائع والأحداث((المصدر نفسه: ٧٢٥)).، بل تعبّر عن استيعاب الصورة، وقدرة الشريعة على مواكبة العصور المختلفة((المصدر نفسه: ٧٢٢)).

ج - وضع الإسلام منطقة الفراغ الخالية من الحكم تحت تصرّف وليّ الأمر ليملاها على أساس متطلبات الزمان ومصالحه، وفي ضوء أهداف الشريعة ومقاصدها((المصدر نفسه: ٧٢٦)).

## تتابع

المصدر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر

جعلت ذلك الموضوع نفسه بالظاهر موضوعاً جديداً فيستتبعه حكم جديد((الخميني، روح الله، صحيفة النور ٢١: ٩٨، قم، مؤسسة نشر وتنظيم آثار الإمام الخميني)). تكمن أهمية نظرية الإمام الخميني في أنها ترى - من جهة - أنّ العصر الحاضر عصر سيادة العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعقدة، ومن جهة أخرى تأثير ذلك في تغيير موضوعات الأحكام الشرعية بشكل بسيط وواضح أهمّ بعد جديد في نظرية الإمام الخميني أنّ تبدل الموضوع في ضوءها يمكن أن يتمّ بشكل خفي ودون أي ضجيج، أي قد نرى ظاهر الموضوع ساكناً لكنّ هناك تحولاً يجري خلف هذا السكون الظاهري، فقبل هذه النظرية كان الفقهاء يقولون ذلك حينما يتحوّل الموضوع إلى موضوع آخر، وتبرز علامات تدلّ عليه، كما في استحالة الخمر إلى خلّ أو الميّت إلى ملح، أما الإمام الخميني، فإن معرفته بالوقائع المتأثرة بالعلاقات الاقتصادية والسياسية من جهة، وتعريفه بموضوع الحكم الشرعي ومناطه وفلسفته من جهة أخرى، لم يحصراً تبدّل الموضوع بظهور ما يدلّ عليه، مثيراً - إلى جانب ذلك - فكرة التبدّل الداخلي.

وفي الحقيقة، إنّ ما أحدثه الإمام الخميني من تحوّل في النظرة الأصولية إلى تغيّر الموضوع، حينما طرح فكرة التحول الداخلي له، يضارع ما أحدثه الملا صدرا الشيرازي (١٠٥٠هـ) في النظرة الفلسفية لموضوع الحركة؛ حينما طرح الحركة الجوهرية، أي أنّ تعيين مصداق الحركة قبل الملا صدرا كان منوطاً بالتحوّلات الظاهرية في الكمّ والكيف، وكذلك كان تعيين مصاديق تبدّل الموضوع قبل الخميني ناظراً إلى التغيّرات الظاهرية.

وعندما نشبه نظرية الإمام الخميني بنظرية الحركة الجوهرية، فلا ندعي أنّ جميع الموضوعات عنده تتبدّل بشكل قهريّ في ظلّ العلاقات الاقتصادية والسياسية، فهذه دعوى لا أساس لها؛ لأنّ بعض الموضوعات، مثل الموضوعات العبادية وكثير من الموضوعات الأخلاقية، ثابتة على مدى الزمان، فالمقصود من هذا التشبيه أنّ التحوّلات الظاهرية

((٦٩))؛ فقد سمّى الإسلام تلك الأحكام التي أقامها على أساس طبيعة الإنسان وخصائصاته بالدين والشرعية: «أقام وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم»((المصدر نفسه: ٦٩)).

وأما الأحكام المتغيّرة، فهي الأحكام المؤقتة أو تلك التي لحظ فيها شيء ما، وتختلف وفق أنماط الحياة المختلفة، ويتماشى هذا القسم مع التقدم التدريجي للمدينة والحضارة وتغيّر المظاهر الاجتماعية وظهور الأساليب الحديثة وانضمار الأساليب القديمة، وتختلف بحسب مصالح الزمان والمكان المختلفة.

وهذه الأحكام باعتبارها من آثار الولاية العامة، منوطةً ببنّي الإسلام محمد- والقائمين مقامه والمنصوبين من قبله، وتشخّص وتنفذ في دائرة الثوابت الدينية((المصدر نفسه: ٦٨)). وطبقاً لمصالح الزمان والمكان، قال تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»(النساء: ٥٩).

وهناك قسم من هذه الأحكام يعبر عنه بصلاحيات الوالي، وقد وضع هذا الأصل في الإسلام ليلبيّ حاجات الناس المتغيّرة في كل عصر وزمان، وفي كل منطقة ومكان، من دون أن تتعرض أحكام الإسلام الثابتة إلى النسخ والبطالان، كما أنها تغطّي حاجات المجتمعات الإنسانية، وبناءً على الولاية العامة لوليّ أمر المسلمين في دائرة حكومته، وكونه موجّهاً لأفكار المجتمع الإسلامي ومورد قبول الجميع، يمكنه التصرف في محيطه العام، كما يتصرّف أي شخص داخل محيطه الخاص((المصدر نفسه: ٧٦- ٧٧)).

نظرية الإمام الخميني، التحوّل الموضوعي وإطلاق ولاية الفقيه يؤكّد الإمام الخميني على أصليين هما:

أ - تبدّل موضوع الحكم إلى موضوع آخر في ظلّ العلاقات الحاكمة، يقول بهذا الخصوص: يلحظ العلاقات الحاكمة في السياسة والاجتماع والاقتصاد في نظام ما لعلّ حكماً جديداً يطراً على مسألة ما، كان حكمها السابق يختلف، بمعنى أنّ الإحاطة الدقيقة بالعلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

إن ما قلناه سابقاً دليلاً على كمال أي نظرية في هذا الخصوص، لكنّ هناك ملاكين إذا تجرّدت النظرية عن أحدهما غدت باطلةً من الأساس، وهما:

أولاً: عدم الخلط بين مساحات الثابت والمتغير، أو الخطأ في تحديد مصاديق كلّ واحد منهما. ثانياً: أن لا تُبتلى النظرية بتقليد الآراء واجترارها؛ فأغلب من يردّ هذا البحث لا يملك اطلاعاً على علم أصول الفقه والاجتهاد مما يجعل نظريّته فاقدةً لكلا الملاكين، فلا يضعن من ليس له الأهلية قدمه في هذا الوادي السحيق، كما ينبغي على من ينظر من العلماء أن يراعي الدقة في عمله.

ولكلّ من الإمام الخميني (١٩٨٩م) والعلامة الطباطبائي (١٩٨٣م) والشهيد الصدر (١٩٨٠م) نظرية في هذا الحقل، وهدف هذه الدراسة تقديم خلاصة عن نظرية كلّ واحد من الثلاثة، مقارنةً بينها، ومن خلال ذلك تتضح كلّ نظرية أكثر، ونقف على أبعاد جديدة للثابت والمتغير في الإسلام، فينبفتح لنا طريق لردّ الشبهات الباطلة.

## ■ إشكاليات في مسألة الثابت والمتغير

أما أهمّ تلك الإشكاليات فهو: أ - الأحكام الإسلامية تحول دون

التقدّم والتنمية. ب - افتقار الإسلام إلى الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. ج - عدم تدخّل الإسلام في الأمور الدينية بشكل جاد؛ لأنّ رسالته الأساسية الاهتمام بالآخرة وما يتعلّق بها.

## ■ نظرية العلامة الطباطبائي، الثبات الإنساني والتحوّل البشري

يقول العلامة: قسم الإسلام أحكامه إلى قسمين متمايزين ومنفصلين بعضهما عن بعض، الأحكام الثابتة والأحكام المتغيّرة((الطباطبائي، محمد حسين، ملامح من الإسلام (قرازاهايي از إسلام): ٧٢، جمع السيد مهدي آيت الله، طهران، جهان آرا)).

أما الأحكام الثابتة، فهي الأحكام والقوانين التي وضعت على وفق مقتضى حاجات الطبيعة الواحدة والثابتة للإنسان((المصدر نفسه:

## ■ خلاصة المقالة

المقالة تناقش قضية الثابت والمتغير في الفقه الإسلامي وتبرز أهميتها في قدرة الإسلام على إدارة المجتمعات المعقدة. تستعرض آراء ثلاثة مفكرين إسلاميين: الإمام الخميني، العلامة الطباطبائي، والشهيد الصدر. يقسم العلامة الطباطبائي الأحكام إلى ثابتة ومتغيرة. يركز الإمام الخميني على التحول الموضوعي والولاية المطلقة للفقيه. يطرح الشهيد الصدر نظرية منطقة الفراغ التشريعي، مما يتيح لولي الأمر اتخاذ القرارات وفقاً لاحتياجات الزمن.

أهمية تحليل إشكاليّة الثابت والمتغير

يحظى بحث الثابت والمتغير في الإسلام بأهمية كبيرة؛ ففي ظلّه نستطيع ان نجلي قدرة الإسلام على إدارة المجتمعات المعقدة، ونثبت بطلان الشبهة التي ترى عدم قدرة الأحكام الإسلامية على حلّ مشكلات الإنسانية، أو محدودية هذه القدرة مع تزايد احتياجات البشرية وكثرة أزماتها، فهذا الفكر الخاطى يرى عدم قدرة الأحكام الإسلامية الثابتة على تلبية تلك الاحتياجات المتفائلة، ورفع الصعوبات المتزايدة وإدارة المجتمعات المعقدة.

## ■ البُعد العلمي في مسألة الثابت والمتغير

ليس بحث الثابت والمتغير في الإسلام بحثاً بسيطاً، يمكن إنجازُه بتقديم أفكار آنية وموضوعات بزاقة؛ فالبحث في هذا المجال يحتاج - من جهة - إلى خبرة طويلة بالمجتمعات الإنسانية المعقدة، كما يتطلب - من جهة أخرى - فهم الإسلام وأهدافه وعمق تعاليمه، إضافةً إلى اطلاع كاف على أسس الاجتهاد ومناهجه، وهذه المعارف شرطٌ رئيس في حلّ المعضلة، وحلّ هذه المسألة يحتاج إلى تنظير، أي ينبغي على من اكتسب المعرفة حتى أصبحت طوع يده أن يقدّم - بشكل جاد وعلى مستوى عالٍ من الدقة مع مراعاة الجوانب كافة - نظرية تتوافر على خصلتين، هما:

أ - تصوير الإسلام وقدراته تصويراً صحيحاً وواضحاً.

ب - القدرة على وضع أساس وإطار أفضل للتوجّه الإسلامي والسياسة الإسلامية العامة.

## •تعريف بالمراكز والمؤسسات الدينية الشيعية

## المؤسسة الثقافية للمهدي المنتظر

تأسست "بنياد فرهنگي حضرت مهدي موعود<sup>عليه السلام</sup>" [المؤسسة الثقافية للمهدي المنتظر<sup>عليه السلام</sup> في مدينة قم] كمعظمة ثقافية غير ربحية وغير حكومية ذات شخصية قانونية واستقلال مالي وإداري، تابعة لجمهورية إيران الإسلامية، بهدف تعزيز وتعريف ثقافة المهدوية وتعريف شرائح المجتمع - خاصة الشباب - بشخصية الإمام المهدي<sup>عليه السلام</sup> وتعزيز أسس الإمامة والولاية. وقد تم تأسيسها في عام ١٣٢٠ الهجري، بعد الحصول على موافقة مقام القيادة العليا [لجمهورية إيران الإسلامية] من قبل سماحة الشيخ محسن قرائتي، وهي تعمل على المحاور التالية:

١. إعادة تعريف ثقافة الانتظار

تسعى المؤسسة إلى تعريف الإمام المهدي الموعود<sup>عليه السلام</sup> ونوابه الخاص

والعام من خلال:

الترويج والبحث العلمي، تأليف ونشر الكتب والدوريات، إنتاج الأقراص المدمجة والبرمجيات الإلكترونية، خلق أعمال ثقافية وفنية وأدبية، الاستفادة من المجالات الإعلامية الأخرى، وإقامة علاقات مع مؤسسات البحث الداخلي والخارجي لتبادل المعلومات والخدمات، وعقد مؤتمرات بحثية وعلمية وأدبية حول شخصية الإمام الموعود.

٢. البحث حول نظرية "الحكومة العالمية الواحدة"

تركز المؤسسة على: دراسة الكتاب

ونشر آراء العلماء والمفسرين من الشيعة والسنة حول مكانة الإمام المهدي<sup>عليه السلام</sup> في الكتاب والسنة.

## ■ ٣. البحث حول تأثير فكرة المهدوية

تعمل المؤسسة على: دراسة تأثير فكرة المهدوية في الأديان والمذاهب الأخرى، استكشاف الحركات الفكرية والاجتماعية والسياسية المرتبطة بهذه العقيدة، إقامة علاقات مع الحوزات العلمية والجامعات والمراكز التعليمية والثقافية لإقامة دروس ومحاضرات حول الإمام المهدي<sup>عليه السلام</sup>، وتوجيه رسائل الدراسات الأكاديمية نحو موضوع المهدوية.

■ ٤. تنسيق الجهود لتوحيد وتنظيم الأفراد والهيئات النشطة في مجال المهدوية وكذلك الرد على الأسئلة والشبهات المتعلقة بأبعاد وجود الإمام المهدي<sup>عليه السلام</sup>.



والسنة وعطرة رسول الله<sup>صلى الله عليه وآله</sup>، التعرف على عوائق تقريب المسلمين، إعداد